الفصل الثانى
"تحقيق"

أخذت جنّة تجوس في الغرفة المغلقة هلعًا والدموع تسيل على خديها، تنهش ملوحتها ببشرتها الرقيقة مُحدِثَة احمرارًا وهجًا، توقّفَت أمام الباب الوحيد بالغرفة، وشرعَت تدير مقبضَه مرارًا بانفعال، تصرخ من بين نحيبها:

- فيه حد هنا؟ طلعوني من هنا أرجوكم، أنا ماعَمَلْتش حاجة.

وبينما كانت تدير المقبض وتطرق الباب، فُتح فجأة ليظهر منه هشام بهيئته المهيبة، يحيط كتفيه حاوي مسدسيه، منتصبًا في شموخ، وعلى وجهه أمارات الاستهجان الماكر قائلًا:

- بتعملي إيه؟ ده على أساس إنه باب في بيتكوا تقدري تفتحيه بسهولة كده أو حتى صوتك يطلع منه.. شكلك كده مش عارفة انتِ فين!

استطاع هشام أن يقذِفَ الرعب بقلبها؛ فشعر بهالة من الأدرنالين تطُوق بها؛ فابتسم بخفة للحصول على أول نقطة تُحسَب له في ذلك التحقيق الذي لم يبدأ بعد، فقد كان هشام ضليعًا في التأثير على المجرمين والمُشتبَه بهم، يزعم أن لكل شخص مدخلًا إن أدركتَه فمن اليسير الخوض في أعماقه وإخراج ما تشتهي، صاحَت جنة بوهنٍ ممزوج بالخوف:

- آه مش عارفة أنا فين.. أنا فين؟ وانتوا مين وعايزين مني إيه؟

اقترب منها هشام بخطوات تحذيرية، خلع أحد مسدسيه ووضعه على الطاولة أمامها بحركة تهديدية، ثم أمسك بالآخر وقام بتلقيمه ومن ثَمّ وضعه بجانب الآخر، وما زال يتحرك نحوها حتى سقطَت على المقعد الذي كانت تقبع عليه من قبل، تحاول النظر إليه ومواجهته من خلف رعبها؛ فقال بروّية:

- تؤ تؤ تؤ، اعقلي كده أومال، ولما تتكلمي معايا توطِّي صوتك.. فاهمة؟

قال كلماته الأخيرة بلهجة عصبية؛ فالعصبية المفزعة هي قناع مُخَنَّك يجيد هشام ارتداءَه في الوقت المناسب ويسقطه عنه متى يشاء، ازدردَت جنّة ريقها تحاول التقاط أنفاسها المتقطعة، تبتعد بعينيها عن ناظريه، حتى انتبهت لحديثه متابعًا بنبرة حاسمة بعدما ابتعد عنها ليستقر على رأس الطاولة في مواجهتها:

- آه.. وأنا هنا اللي بسأل مش حد تاني، ولما أسأل تركّزي وتفكّري ألف مرة قبل ما تقولي أي إجابة.. عشان ماتندَمِيش بعدين.

حدجته جنّة بنظرات اشمئزاز يتخلّلها الخوف، وما زالت في انتظار هطول أسئلته علَّها تنتهي من ذلك الأمر برمَّته، إلا أنها سمعَت نبرة هادئة ربما تكون الهدوء الذي يسبق العاصفة _هكذا فكرت_:

- مبدأيًا هصدّق إنك مش عارفة انتِ فين وليه وهقولك.

قاطعته جنّة باندفاع ندمَت عليه:

- أنا مابكذبش و..

هشام بحدة:

- دي آخر مرة أسمحلِك تقاطعيني.

أخفضت جنّة عينيها تحاول مسح دموعها بخفة والتظاهر ببعض القوة، إلا أنّ الإجابة أتتها الصادمة:

- انتِ هنا في جهاز الأمن الوطني، ومتهمة بمساعدة عضو مافيا من الهروب مننا؛ بما يعني إنّك عضو في المافيا دي انتِ كمان.

كان سامر يقف في الناحية الأخرى، يراقب التحقيق من خلف النافذة الزجاجية منبهرًا بطريقة وكاريزما هشام وتأثيره في سير التحقيق، كما يدهشه في كل مرة؛ فيكون بشخصية مختلفة عن الأخرين لكنه في النهاية يَخرُج بالمعلومات الكافية لإنهاء القضية بالشكل الأمثل بلا السماح لوجود ثغرات، وصَله صوت جنة وهي تقول بانهيار وعدم تصديق:

- حضرتك بتقول إيه؟ مافيا.. وأمن وطني وعضوة! أنا.. ف مافيا..لا لا.. حضرتك أكيد غلطان.

افترَّ عن ثغر هشام ابتسامة تهكّمية، وكأنه يقول لها تابعي تمثيلك؛ فهذا يثيرنى، نهضَت جنّة وقد خارت قواها فلم تعد تشعر بركبتيها؛ فسقطت مكانها مرة أخرى، تحاول تجميع الكلمات المبعثرة على طرف لسانها والدموع تغرق وجهها: صدّقني يا حضرة الظابط، والله أنا معرفش أي حاجة عن اللي بتتكلم عنه، أرجوك أنا لو مارجعتش لأهلي النهاردة هيموتوا، دول ماعندهمش غيري.

هشام بجمود:

- وماعملتيش حسابهم ليه قبل ما تورّطي نفسك.

جنّة بصراخ:

- قولتِلَك ماعرفش انتَ بتتكلم عن إيه.

هشام بتهديد:

- وأنا قولتلِك قبل كده صوتك مابِعْلَاش.

تابع هشام حديثه وهو يقف خلفها منحنيًا إليها كثعبان يلتفّ حول فريسته؛ ليحكم قبضته عليها؛ فانكمشت وتقلصت داخل نفسها:

- ودلوقتي وبكل هدوء هتقولِيلْنا كارولين فين؟ وإيه العملية اللي جات تنفّذها في مصر المرة دي.. اغتيال ولا سرقة ولا آثار ولا تهريب أسلحة ولا....

باتَت جنة تترنّح تشعر بالدنيا من حولها وكأنها شاشة تلفاز أغلقه أحدهم؛ فاستشر اللون الأسود إلا من تلك النقطة البيضاء قبل أن يُطفَأ تمامًا، ومن ثم سقط رأسها على الطاولة في خضوع تام.

دلف سامر وقد أخذتْه الحماسة مشيرًا إليها برأسه وقد تناول كأسًا من المياه قائلًا:

- سيبلي أنا المهمة دي يا فندم.

كاد يرطُم المياه بوجهها، ريثما أوقفته قبضة هشام الحديدية قائلًا بتهكم:

- إيه يا سامر؟ مالك بقيت عنيف كده؟! اهدا مش كده أومال.

تعجب سامر لردة فعله وقد استشف أن رئيسه سيقوم بأمر جديد قد يفاجئه، وأي مفاجأة كانت حينما أمره هشام:

- اطلب واحد ليمون.

حدّقَ به سامر مندهشًا، قائلًا باستهجان:

- واحد ليمون يا فندم؟

هشام بسخرية:

- عايز؟ نخليهم اتنين؟

سامر بتردد:

- لا يا فندم.. تمام.. واحد ليمون واحد ليمون.

بعد دقائق استأذن الساعي، ودلف واضعًا كأس الليمون على الطاولة بهدوء، وما زال سامر يراقب من الخارج متعجبًا لموقف رئيسه، نقَّط هشام بعض قطرات المياه على وجهها وقد لمح به الأسى والشحوب، لا يستطيع نكران تلك القشعريرة التى سرَت بجوفه حينها؛ فكان الأمر غريبًا عليه، ربما ضميره ينبهه أنه مخطىء ويتوجب عليه التوقف عن ذلك لكنه لم يُعِر كل ذلك اهتمامًا على أية حال، أجفَلَت جنة لسقوط القطرات على وجهه، وراحت تطبّق عينيها بقوة، ثم فتحتهما رويدًا، تأخذ شهيقًا بالكاد يتّسع له صدرها المثقل بالخوف والهلع، أمسكَت برأسها بين يديها؛ فقد كان يؤلمها كثيرًا، وكانت تلك حالة طبيعية لتخبّط الصدمات والأفكار داخل عقلها ولارتطامه بالطاولة أيضًا.

انتفضّت جنة لمّا التقطَت عينيها صورة هشام أمامها، وقد أظهر لينَ جانبِه حينما هتف بنبرة عادية:

- اتفضلى الليمون، واهدِي عشان نقدر نتكلم.

حدقت به جنة بنظرات الشكّ والريبة تبدّلها بينه وبين الكأس الموضوعة أمامها.

فرفع حاجبه، ثم التقط الكأس ورشف منها، ثم وضعها أمامها ثاني، وهو يقول بتلذذ:

- امم.. مافيهاش سم.. تقدري تشربي، وبالمناسبة انتِ في جهاز أمن وطني مش عصابة ولا مافيا.

صمتَ برهة ثم هتف بلهجة آمرة:

- اشربي!

تناولَت جنّة الكأس بيد مرتعشة وتجرّعت منه القليل، ثم مسحت العصير المتناثر على شفتيها المرتجفتين حالما كان هشام جالسًا على المقعد أمامها يتظاهر بقراءة ملفها، في حين أنه في واقع الأمر كان يدرس حالتها ويحلل ردود أفعالها.

وضع هشام الملف من يده وقد تبدّلَت لهجته قائلًا بهدوء:

- أظن دلوقتي نقدر نتكلم بهدوء.

هدأ روعُ جنة قليلًا تستمع إليه، وكل ما يجول بخاطرها هو تساؤل واحد: كيف لها أن تقنع ذلك الشخص بأنه لا علاقة لها بمافيا أو بغيرها وهو غير مستعدّ لسماع تلك الترّهات من وجهة نظره.

استأنف هشام حديثه:

- ها يا آنسة جنة.. مش ناوية تقوليلنا كارولين فين؟ طب بلاش السؤال ده أكيد زهقتِي منه، نسأل سؤال تاني، مين اللى بيدّيكي الأوامر في المافيا ومرتبته إيه فيها؟

قلّبَت جنة عينيها بيأس؛ فتطرّق إلى ذهنها تلك العبارة الشهيرة التي طالما سمعتها في الأفلام في مثل هذه المواقف "مش هتكلّم غير قُدّام المحامي بتاعي"؛ فنطقت:

- أنا عايزة محامي، وأظن من حقي أعمل مكالمة تليفون.

ضحك هشام هازئًا، ثم قال:

- محامي ومكالمة! انتِ مفكّرة نفسك فين؟!

ثم تبدّلَت لهجته لتصبح أكثر صرامة:

- شوفي بقى، ولا محامي ولا غيره هيقدروا يطلّعوكي من هنا.. أنا بس اللي في إيدي ده، فيا إما تقنعيني إنك بريئة وساعتها هخرّجك، يا إما هتفضلي هنا لغاية ما...

توقف لسانه فجأة عن النطق بتلك الكلمة، لا يدري لماذا؟ على الرغم من أنها ليست المرة الأولى التى يهدّد بها مجرميه بتلك العبارة، ربما لأن بداخله ما ينبهّه بأنها ليست مجرمة؛ فتابع تهديده مغيرًا كلماته:

- يا إما هتفضلي هنا لغاية ما تعترفي بكل حاجة بمزاجك أو غصب عنك.

عرفَ النحيب طريقه إلى عيني جنة؛ فصارت تبكي بحرقة وهي تقول من بين شهقاتها:

- والله العظيم ما أعرف انتَ بتتكلم عن إيه.. طب.. طب فهّمني مين كارولين؟ وليه أنا اللي بتتّهموني بالحاجات الغريبة دي؟!

هشام بنفاد صبر:

- انتِ هتستعبطي؟! جهاز التتبع ده (قالها وهو يريها إياه) كان في شنطتِك، تقدري تقوليلي وصَلِّها ازاي؟ والمكالمة اللي عملتها كارولين لواحد من المافيا من تليفونك..

جنة باستذكار:

- شوف.. أنا معرفش حاجة عن قرص التتبع ده ولا ازّاي وصل شنطتي.. آه المكالمة! المكالمة دي عملتها واحدة غلبانة كده كانت راكبة جنبي في الميكروباص، و...

قصَّت عليه جنة حكاية تلك الفتاة التي كانت تركب بجانبها، بينما كان هشام يستمع إليها بعينين ثاقبتين لا تعكسان أي شيء، ولا يبدو بهما التصديق من عدمه.

وبعد أن انتهَت أردف هشام:

- أحمد حسن بدر، إيه علاقتك بيه؟

تعجبت جنة قائلة: اشمعنى؟!

صاح بها ضجرًا: قولتلك أنا هنا اللي بسأل.

جنة: ده زميلي في الجامعة، مش أكتر.

هشام: هو اللى عرفك على المافيا؟

جنة باستهجان: وهو إيه علاقته بالمافيا دي؟!

زفر هشام متمتمًا: امم.. دي بايّنها غبية.

حينذاك دلف سامر وهمس إلى هشام: سيادة اللواء عايزك يا فندم.

هشام: تمام، هروحله حالًا وكفاية كدَه النهاردة.

سامر: اللي تشوفه سيادتك يا فندم.

وما كاد هشام يخرج من الغرفة حتى هرعت إليه جنّة متسائلة بلهفة:

- انتَ رايح فين؟

رفع حاجبه استنكارًا؛ فابتلعت ريقها تترجاه:

- أرجوك، ماتسيبنيش هنا لوحدي، أنا عندي فوبيا من الأماكن المقفولة والضلمة، ممكن يغمَى عليّا.

رمقها هشام باستخفاف، ثم قال لسامر:

- خدها تبات في مكتبي النهاردة.. أما نشوف أخرتها.

سامر: حاضر يافندم.

جنة بفزع:

- هو أنا هبات هنا؟! طب وأهلي؟ أكيد زمانهم قلقانين عليّا.

تقدم هشام نحوها مسافة قدمين في شيء من التهديد قائلًا:

- أنصحِك في وقت زي ده تخافي على نفسك.. يلّا يا سامر.